

التدخين يقتل شباب الصعيد

من أسوأ المشاهد التي رأيتها في السنوات الأخيرة مجموعة من الشباب، أعمارهم تقل عن ١٥ سنة يسرون في إحدى قرى الصعيد خلال إجازة عيد الفطر، وهم يدخلون السجائر.

ظني الشخصي أن تفشى التدخين بين الشباب الصغير ومعه تعاطى المخدرات، لا يقل خطرا على الأمن القومي المصري بمعناه الشامل عن خطر تهديد حصة مصر من مياه النيل، أو الإرهابيين القادمين من حدودنا الغربية، أو التهديدات الإسرائيلية والإرهابية على حدودنا الشرقية.

ربما خطر الإرهاب أكثر وضوحا، لكن خطر التدخين ينتشر أماننا ويعلمنا، ونشاهد أولادنا ليل نهار يمارسونه من دون قدرة على المقاومة الفاعلة.

هؤلاء الشباب صغار السن، سافر معظم آبائهم إلى دول الخليج، دفعوا كل ما يملكون، أو استدانوا من أجل الحصول على التأشيرة أو «عدم الممانعة»، وغالبيتهم يعملون في مهن وحرف شاقة ومهلكة ومجربة للمرض و«تقصص العمر»، من أجل أن يوفرُوا لأولادهم معيشة أفضل وتعليما أرقى.

ما يحدث عمليا أن الأب يكسب ويكدح ويتحول إلى آلة لتحويل الأموال من الخارج، في حين أن الأم لا يمكنها في مرات كثيرة تربية الأولاد بصورة كاملة، خصوصا إذا كانوا ذكورا في مرحلة المراهقة.

هؤلاء الأولاد، ومن خلال «شلة السوء»، ومع غياب الرقابة، وانهيار منظومة القيم في التعليم الحكومي،

وشيوع ثقافة التوك توك وأغاني المهرجانات وأفلام العنف، فإن التدخين يكون أولى بواكير انحرافهم،

على الرغم من أنهم يعتقدون أنهم حينما يدخلون فذلك أحد مظاهر «المرجلة والجدعة».

الأخطر أن الأمور لم تعد تتوقف الآن عند التدخين، بل تجاوزته إلى تعاطي المخدرات.

وخلال استماعي إلى بعض الشباب الصعدي في مناسبات مختلفة أخيرا، فإن ظاهرة انتشار تعاطي المخدرات بين الشباب صارت تتم علنا في بعض الأحيان، ليس فقط من يتعاطاها، ولكن لمن يبيعها أيضا وعلى قارعة الطريق كما يقولون!!

المخدرات المختلفة - وخاصة الاستروكس - صارت موضة لدى العديد من الشباب، وللأسف فقد أخبرني أحد الأطباء، بأن هناك تزايدا في نسب إصابة الشباب تحت سن العشرين بالعديد من الأمراض الناتجة عن الإدمان بأشكاله المختلفة.

الأرقام الصادرة عن الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء تقول إن نسبة المدخنين في مصر تصل إلى 22.7% في الفئة العمرية من «15 - 69» عاما. وأعلى نسبة من المدخنين بلغت 27.3%، وخاصة في الفئة العمرية (30 - 44 سنة)، و43.4% من إجمالي الذكور مدخنون، مقابل 0.5% من الإناث. و18.1 عاما متوسط السن عند بداية التدخين. و15.9 سيارة، متوسط عدد السجائر المستهلكة يوميا للمدخن. و20%، يدخنون الشيعة، بمتوسط 0.6 حبر في اليوم. و6.2% يدخنون السيجار بمتوسط 0.9 سيجار يوميا. و5.4% نسبة من سبق لهم التدخين بصفة يومية، وهم مقلعون عنه حاليا.

قبل فترة جربت أن أوقف بعض الشباب الصغير وأحاول إقناعه بالحسن، بأن التدخين خطر جدا، الشباب استمع وهز رأسه، ثم مضى إلى حال سبيله. وفي مرة أخرى كان التذمر من كلامي واضحا من مجموعة ثانية، فأنثرت السلامة وتوقفت عن تكرار المحاولات.

هؤلاء الشباب بحالتهم الراهنة لن يكونوا قادرين على التركيز فى التعليم، وحينما يتخرجون، لن يكونوا مؤهلين، وحتى لو عثروا على أى عمل، فلن تكون صحتهم العامة قادرة على الاستمرار.. والسؤال كيف نتوقع أن يكون مثل هذه الشباب قوة منتجة تنبأهى بها ونراهن عليها؟!

قد يسأل سائل: ولماذا أنت متحمس هكذا ضد التدخين؟!

الإجابة ببساطة لأننى جربت التدخين لمدة ٢٥ سنة كاملة، وبإخلاص منقطع النظير للسجائر، من أول البلمونت والفلوريدا والكلويباترا والسوبر مرورا بسيجارة كان اسمها سيناء، نهاية بالمارلبورو والجيتان الفرنسية. وأتذكر أنه فى أوائل السبعينيات كانت هناك أزمة طاحنة استدعت توزيع السجائر فى طواير من أقسام الشرطة بالبطاقة الشخصية.

والحمد لله أن أكرمنى وهدانى، وأقلعت تماما عن هذه العادة المردولة فى ١١ إبريل ٢٠٠٧، ومن يومها لم ألمس السيجارة، ومجرد شمها يصيبنى بالدوار والغثيان.

حينما نجحت فى التوقف صرت أصف نفسى بأننى قوى الإرادة فعلا. ولم أكن أعرف خطورة التدخين إلا حينما توقفت عنه، ولأننى أدرك مخاطره صار يعز فى نفسى، أن أرى طفلا أو شابا صغيرا فى السن يمسك بالسيجارة، وهو لا يدرك خطورته على حياته ومستقبله.

السؤال: هل يمكن أن تكتمل مبادرة «١٠٠ مليون صحة» العظيمة، وتؤتى ثمارها الإيجابية، فى ظل معدلات التدخين المرتفعة فى المجتمع المصرى.

والسؤال الأهم: ألا يمكننا أن نفكر فى وسائل وإجراءات وقرارات عملية لمواجهة هذه الآفة الخطيرة، حتى لانهدم كل ما نبنيه فى مجالات متعددة؟!

الإجابة تحتاج إلى نقاش لاحق.